التنغيم بين القدماء والمحدثين -قراءة في الأداء اللغوي-

Toning between the ancients and modernists -Reading in language performance

م.م هديل عبد الأمير حسوني [1] Hadeel Abdel Amir Hassouni

المستخلص

يسلط هذا البحث الضوء على الأداء اللغوي لظاهرة التنغيم بين القدامى والمحدثين وذلك في أربعة مباحث تناولنا فيها ملمح التنغيم الذي يعد من الفونيمات فوق التركيبية أو الإضافية للكلمات والجمل المنطوقة، لنعرف ماهيته، وتأثيره في البنى الوظيفية، مشيرين في ذلك إلى معناه اللغوي والاصطلاحي، والفرق بينه وبين النغمة، ومن ثم مستوياته، و إشارات القدماء إليه ومفهومه عند المحدثين، و إشكاليته بين القدماء والمحدثين، وقد خُتِم البحث بتناقضات بعض المحدثين في عدِّهم التنغيم مرة تركيبيًا وأخرى فوق التركيبي.

Abstract

This research highlights the linguistic performance of the phenomenon of toning between the old and the modern in four studies in which we dealt with the tone of the toning, which is a phonemes above the syntactic or additional words and sentences spoken, to know its meaning, and its impact on the functional structures, pointing to the meaning of language and terminology, And the tone, and then the levels, and the references of the ancients and the concept of the modern, and problematic between the ancients and modernists, and the research has concluded the contradictions of some of the modernists in the number of toning once installed and above the compositional.

١- المديرية العامة لتربية كربلاء.

المقدمة

حظيت اللغة العربية بالاهتمام والبحث منذ نزول القرآن الكريم وحتى يومنا هذا، وكانت الدراسة تنصب على موضوعات النحو، والصرف،والبلاغة، والدلالة، والصوت وغيرها من العلوم.

ولقد أقام علماء اللغة والأصوات نظرية استطاعت على المستويين النظري والتطبيقي أن تكشف لنا عن النظام الذي تنطوي عليه وظيفة الصوت داخل نظام أي لغة، فقد استطاعت النظرية تطبيقيا أن تحل كثيرًا من المشكلات العلمية في تعلم اللغات، كما استطاعت هذه النظرية أن تقدم فكرة أصلية للتحليل اللغوي وهي فكرة الملامح غير التركيبية أي الخصائص الصوتية التي تميز فونيما عن فونيم آخر، ومن ثم أصبح مفهوم الفونيم عبارة عن مجموعة من الملامح المميزة التي تنبع من الخصائص النطقية، والسمعية، والصوتية التي تحدد كل صوت من أصوات اللغة مثل: موضع النطق وصفته، وهذه الملامح الصوتية تقع خارج إطار البنية اللغوية وهي ما يطلق عليها علماء اللغة والأصوات تسمية الملامح غير التركيبية (فوق التركيبية)؛ لأنها لا تدخل في جوهر التراكيب اللغوية وتتمثل في المقطع، والنبر، والتنغيم وفيما يلي: نتناول ملمح التنغيم في أربعة مباحث لنعرف ماهيته، وتأثيره في البنى الوظيفية، مشيرين في ذلك إلى معناه اللغوي والاصطلاحي، والفرق بينه وبين النغمة، ومن ثم مستوياته،وإشارات القدماء إليه، ومفهومه عند المحدثين، و إشكاليته بين القدماء والمحدثين، وقد ختمت البحث بتناقضات الدكتور تمام حسان في عدِّه التنغيم مرة تركيبيًا وأخرى فوق التركيبي.

المبحث الأول: مفهوم التنغيم في اللغة و الاصطلاح

التنغيم مصدر نغّم،والنّغَم –في اللغة– الكلام الخفي وسكت فلان فما نَغَم بحرف، وما تنَغَّم مثله،وما نَغَم بكلمة، والنَغْمَة جرس الكلام، وفلانٌ حسن النَغْمةِ إذا كان حسن الصوت في القراءة[٢].

وللتنغيم في اللغة معانٍ ثلاثة تمثلها المفردات الآتية:"النغمة،الجرس، اللحن"[٣].

والتنغيم –في الاصطلاح– هو"ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام"[٤]، أو هو"عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين"[٥] وذلك الارتفاع والانخفاض في الصوت أو التتابع في تلك النغمات الموسيقية أثناء النطق إنما يكون لمقاصد تعبيرية ومقتضيات معنوية وغايات دلالية؛ولذلك قيل إنّ التنغيم هو"تغير في الأداء الكلامي بارتفاع الصوت وانخفاضه في أثناء الكلام العادي للدلالة على المعاني المتنوعة في الجملة الواحدة"[٦].

والتنغيم قرينة لفظية إذ لا يمكن أن نتصوره إلا في الكلام المنطوق، فبه تُنطق الجملة بإطار موسيقي معين وتُعطى نغمًا خاصًا لبيان مشاعر الفرح والغضب والنفي والإثبات والتهكم والاستغراب

٢– ينظر:العين:٤/٤٢٦، والصحاح:٥/٢٠٤٥،ولسان العرب:١٢ /٥٩٠.
٣– المعنى في تفسير الكشاف للزمخشري(أطروحة): ٣٦.
٤– مناهج البحث في اللغة:١٦٤.
٥– أسس علم اللغة: ٩٣.
٦– علم الأصوات اللغوية، مناف الموسوي: ١٤٣.

والاستهزاء[٧]، وغيرها من المعاني التي يقتضيها سياق الحال فهو مرتبط بالعاطفة والموقف والانفعال وتكون نغمات الكلام دائمًا في تغير من أداء إلى آخر،ومن موقف إلى موقف، ومن حالة نفسية إلى أخرى.

ولما كان التنغيم إعطاء القول الأنغام المناسبة والفاصل أو الفواصل المناسبة[٨] صارت تستخدم موسيقى الكلام مكان التنغيم عند بعض الدارسين، ومنهم الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه –الأصوات اللغوية– وهو أشهر من نبَّه على دراسة التنغيم من المحدثين العرب فهو يرى أنَّ التنغيم هو موسيقى الكلام،أو كلمة التلوين الموسيقي[٩].

لم يعرّف الدكتور تمام حسان التنغيم في كتابه (اللغة العربية معناها ومبناها) ولم يُشِرْ إلى معناه اللغوي أو الاصطلاحي، وإنما ذكرَ عبارة تضمنت وظيفة التنغيم في الأداء اللغوي وذلك في قوله:"والتنغيم في الكلام يقوم بوظيفة الترقيم في الكتابة غير أن التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة وربما كان ذلك؛ لأن ما يستعمله التنغيم من نغمات أكثر مما يستعمله الترقيم من علامات كالنقطة والفاصلة والشرطة وعلامة الاستفهام وعلامة التأثر وربما كان ذلك لسبب آخر"[١٠]ويذكر الدكتور كلامه هذا في كتاب آخر معللًا السبب في ذلك بسبب ما للتنغيم من نغمات كثيرة تفوق ما للترقيم من علامات كعلامة الاستفهام وعلامة التأثر (التعجب) والشَّرطة والفاصلة والنقطة وغيرها وبسبب ما يصاحب التنغيم وفي الكثير من حالاته من تعبيرات الملامح وحركات أجزاء الجسم كالرأس واليدين وما إلى ذلك نجد أن التنغيم أوضح من الترقيم في بيان القصد والدلالة على المعنى؛ ومن ثمَّ فان الترقيم في الكتابة يقوم بجانب من وظيفة التنغيم في الكلام[١١]،كما يتفق البحث مع رأي الدكتور عبد القادر من أن التنغيم، أكثر أهميّة من الترقيم، فبالإمكان أن نتابع الكلام المكتوب دون ترقيم، ولكن مع الكلام المنطوق تظهر أهمية التنغيم في إبراز القيم الدلالية في الفعل الكلامي[١٢].

فالتنغيم تنوع في درجات الصوت خفضًا، وارتفاعًا في الوحدة الدلالية، مهما تنوعت مقاطعها وظهورها ضمن سياق الكلام، والتنغيم يعد ظاهرة من الظواهر السياقية؛ لأنّه حصيلة الجهود العلمية في علم الصوت، والصرف، والنحو، والدلالة؛ إذ تجتمع هذه العناصر كلها لأداء المعنى[١٣]، عبر نغمات متتابعة في حدث كلامي معين[١٤].

وحصيلة ما تقدم أنّ التنغيم هو انتقالات صوتية بين ارتفاع و انخفاض وتنوعات نغمية تحيط الكلام المنطوق لمقاصد تعبيرية ومقتضيات معنوية وبسبب كثرة تلك الانتقالات وتنوع تلك النغمات وتعدد المعاني وطرق التعبير صار"التنغيم قرينة لا رمز لها أو يعسر أن يحدّد لها رموز"[١٥]،أو أنّه: "مصطلح صوتي

٧– ينظر: في البحث الصوتي عند العرب: ٦٢.
٨– ينظر:معجم علم اللغة النظري: ١.
٩– ينظر: الأصوات اللغوية:١٢٤،والدراسات الصوتية عند علماء التجويد:٥٦٦.
١٠– اللغة العربية معناها ومبناها:٢٢٦–٢٢٧.
١١– ينظر:مناهج البحث في اللغة: ٢٢٦–٢٢٧.
١٢– ينظر: علم اللسانيات الحديثة:٣٧٦.
١٣– ينظر:اللغة العربية معناها ومبناها:٣٠٨–٣٠٩.
١٤– ينظر:المصطلح الصوتي عند علماء العربية: ١٩٧، والمعنى في تفسير الكشاف(أطروحة):٣٦.
١٥– أثر القرائن في توجيه المعنى(أطروحة):٨٣، وقضايا صوتية (بحث):٣٧٤.

وظيفي حلَّ الكثير من إشكاليات الدلالة اللغوية المتعلقة بموجب خط التنغيم فجملة (جاء محمد) تتعدَّد صورها النغميَّة، فهي تقريريَّة تارة أو استفهاميَّة، أو تهكميَّة، أو تأكيديَّة، أو تأتي للموافقة، أو الرفض، أو الدهشة، أو الاحتقار، أو الاشمئزاز، تارة أخرى"[١٦].

المبحث الثاني: الفرق بين النغمة والتنغيم

إن بعضًا من علماء العربية المحدثين حين ترجموا لفظة (Intonation) إلى العربية وترجموا تعريفها ومستوياتها الصاعدة والهابطة والمستوية، لم يَحدّوا التنغيم بحدود تميزه عن النغمة (Ton) فقد ورد أن "ليس في اللغة العربية وظيفة معجمية لتنغيم الكلمة لأنها لا تستخدمه كاستخدام اللغة الصينية أو بعض لغات غرب أفريقيا"[١٧]، ويعرف الدكتور بسام بركة التنغيم بأنه:"المنحى اللحني للجملة يقاس بتغير ارتفاع الصوت في السلسة الكلامية ويقال كذلك النغم"[١٨]كما يشير الدكتور تمام حسان إلى أثر التنغيم في الأداء اللغوي للجمل فهو يؤكد على الوظيفة الدلالية للنغمات فيذكر أن للنغمة دلالة وظيفية على معاني الجمل تتضح في صلاحية الجمل التأثرية المختصرة نحو: لا!، نعم!، يا سلام! الله!...لأن تقال بنغمات متعددة ويتغير معناها الدلالي والنحوي مع كل نغمة بين الاستفهام والتوكيد والإثبات لمعان عديدة مثل الفرح والحزن والشك والتأنيب والاعتراض والتحقير وهلم جرا إذ تكون النغمة هي العنصر الوحيد الذي تسبب عنه تباين هذه المعاني لأن هذه الجملة لم تتعرض لتغير في بنيتها ولم يضف إليها أو يستخرج منها شيء ولم يتغير فيها إلا التنغيم وما قد يصاحبه من تعبيرات الملامح وأعضاء الجسم مما يعدّ من القرائن الحالية [١٩] ومن هذا الكلام تتضح لنا وظيفة التنغيم والنغمة في الأداء اللغوي للجمل وما تحمله من معانٍ وتعبيرات، ويشير الدكتور السعران إلى دور التنغيم في بعض اللغات قائلًا:"يقوم التنغيم في لغات كثيرة بدور"مورفولوجي"هام...فنجد في بعض اللغات صيغتين متماثلتين من الناحية الصوتية ولكن كلًا منهما تنطق بنغمة مخالفة فيكون لكل منهما معناها وهذا واضح وكثير في لغات الشرق الأقصى كالصينية وفي بعض اللغات الإفريقية"[٢٠]، وللتنغيم في اللغة العربية وظيفة نحوية ودلالية مهمة،فالجملة الواحدة قد تكون خبرية أو استفهامية، والتنغيم هو الفيصل في التمييز بين الحالتين[٢١].

ولكن قد يكون في هذه النصوص نظر، لأنهم خلطوا مفهوم النغمة بمفهوم التنغيم، والظاهر أن التنغيم يختلف تمامًا عن النغمة.

نجد اللسانيين المحدثين يفرقون بين مصطلح التنغيم ومصطلح (النغمة) ومنهم الدكتور أحمد مختار عمر في كتابه دراسة الصوت اللغوي يذكر أن هناك نوعين من اختلاف درجة الصوتvoice pitch يمكن تمييزهما[٢٢]:

١٦- التنغيم اللغوي في القرآن الكريم:٢٧.
١٧- علم الأصوات اللغوية:١٣٥.
١٨- علم الأصوات العام:١٧١.
١٩- ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها:٢٢٨.
٢٠- علم اللغة:٢٢٥.
٢١- ينظر:علم الأصوات: ٢١٢، ومحاضرات في اللسانيات: ٢٥٧.
٢٢- ينظر: دراسة الصوت اللغوي:٢٢٥.

أ– نوع يسمى بالنغمة أو التونton وهنا تقوم درجات الصوت المختلفة بدورها المميز على مستوى الكلمة ولذا تسمى تونات الكلمة word tones.

ب– نوع يسمى بالتنغيم (Intonation) وهنا تقوم درجات الصوت المختلفة بدورها المميز على مستوى الجملة أو العبارة أو مجموعة الكلمات.ويفرق بعض الدارسين بين النغمة واللحن فأما النغمة فيقصد بها تنغيم المقطع الواحد في عموم المجموعة الكلامية، فتوصف النغمة بأنها صاعدة، أو هابطة، أو مستوية. وأما اللحن فهو مجموع النغمات في المجموعة الكلامية،أي الترتيب الأفقي للنغمات[٢٣]. ويقترب بذلك معنى اللحن من دلالة مصطلح التنغيم[٢٤].

أما النغمة فهناك لغات تستعملها استعمالاً تمييزياً وتسمى من أجل ذلك لغات نغمية أو تونية بمعنى أن اختلاف درجة الصوت في هذه اللغات يساعد على تمييز كلمة عن أخرى وربما كان هذا الاختلاف هو الملمح التمييزي الوحيد لكلمتين تتطابقان من ناحية العلل والسواكن وهذا النوع من اللغات متناثر فوق العالم وربما كان ملاحظاً أكثر من الصين وبعض أجزاء إفريقيا وجنوب شرق آسيا وكذلك يلاحظ في كل من اللغات النرويجية والسويدية وبعض اللغات الهندية الأمريكية ومثال ذلك الكلمة (zuku) في لغة (Mixteco) التي تنطق بنغمتين مستويتين متوسطتين فتعنى "جبل" وبنغمة مستوية متوسطة بالإضافة إلى نغمة منخفضة فتعنى"فرشاه"[٢٥]، هذه هي اللغات النغمية أما اللغات التي لا تعتمد على النغمة في التفريق بين معاني الكلمات فتسمى لغات غير نغمية ومن ذلك مثلاً كلمة (نعم) في العربية يمكن أن ننطقها بتنوعات من درجة الصوت ومع ذلك فإن هذه التنوعات ليست جزءاً من الكلمة بل تظل الكلمة دالة على معنى الإيجاب إلا إذا أريد الدلالة على أهداف أسلوبية أو أغراض لغوية مختلفة أضافية كانت ثابتة مثل الاحتجاج أو الاستنكار أو الدهشة[٢٦] وسواء كانت اللغة نغمية أو غير نغمية فهناك أنواع من النغمات تستخدمها فهناك النغمة العادية المستعملة في الكلام العادي، والنغمة العالية، والعالية جداً وتدل على أمر، أو تعجب، أو تناقض، والنغمة الواطئة؛ وتدل على نهاية الجملة. كما تختلف اللغات من ناحية ثباتها، أو تغيرها، فتسمى مستوية إذا كانت ثابتة، وتسمى صاعدة إذا اتجهت نحو الصعود، وتسمى هابطة إذا اتجهت نحو الهبوط، وتسمى صاعدة هابطة إذا غيرت نوعها في اتجاهين إلى أعلى ثم إلى أسفل، وتسمى هابطة صاعدة إذا غيرت نوعها في اتجاهين إلى أسفل ثم إلى أعلى[٢٧].

أما التنغيم فهو ارتفاع درجة الصوت وانخفاضه على مستوى الجملة أو العبارة، ونجد هذا في معظم اللغات كالعربية والانجليزية اللتين تستخدمان التنغيم بطريقة تمييزية تفرق بين المعاني إذ يمكن في معظم اللغات أن نغير الجملة من خبر إلى استفهام، أو توكيد، أو انفعال، أو تعجب، دون تغيير في شكل الكلمات المكونة فالجملة العربية –مثلاً– حَضَرَ محمدٌ صالحة لأن تقال بنغمات متعددة فيتغير معناها مع كل نغمة فنرى أنها تكون استفهامية تارة وتكون خبرية تارةً أخرى،كما أنها قد تكون توكيدية من دون

٢٣– ينظر:مناهج البحث في اللغة:١٦٦، علم اللغة للسعران ٢١١.
٢٤– ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية: ٢٤٣، وأصوات اللغة١٥٥.
٢٥– ينظر:دراسة الصوت اللغوي:٢٢٦.
٢٦– ينظر:م.ن: ٢٢٦، ودراسات في اللسانيات العربية:٥٢.
٢٧– ينظر:دراسة الصوت اللغوي:٢٢٧، ودراسات في اللسانيات٥١–٥٢.

تغيير في ترتيب أو شكل الكلمات المكونة للجملة ولكن التغيير فيها يكون بنطقها بنغمات متعددة فيتغير معناها مع كل نغمة فنرى أنها تكون استفهامية إذا نُطِقت بنغمة صاعدة من أسفل إلى أعلى، وتكون خبرية إذا نُطِقت بنغمة مستوية، و توكيدية إذا نُطِقت بنغمة صاعدة هابطة؛ فترتيب الكلمات في الجمل جميعها كان على نحو واحد والفرق هو طريقة النطق في كل جملة[٢٨].

فقد وجه البحث العبارة السابقة وحسب أقوال بعض المحدثين على النحو الأتي:

حَضَرَ محمدٌ
- استفهامية إذا نُطِقت بنغمة صاعدة من أسفل إلى أعلى.
- خبرية إذا نُطِقت بنغمة مستوية
- توكيدية إذا نُطِقت بنغمة صاعدة هابطة

والجملة الانجليزية "He lives here" إذا نطقت بنغمة هابطة من أعلى إلى أسفل فإنها تكون جملة خبرية وتكون استفهامية ?He lives here إذا نطقت بنغمة صاعدة من أسفل إلى أعلى[٢٩].

وبالاعتماد على ما سبق يمكننا توجيه العبارة السابقة على النحو الأتي:

"He lives here" ← خبرية إذا نُطقت بنغمة هابطة من أعلى إلى أسفل.

?He lives here ← استفهامية إذا نُطقت بنغمة صاعدة من أسفل إلى أعلى.

وخلاصة ذلك أن النغمة هي ارتفاع درجة الصوت أو انخفاضه على مستوى الكلمة، أما التنغيم هو ارتفاع درجة الصوت أو انخفاضه على مستوى الجملة أو العبارة. ويمكن أن يكون التنغيم على مستوى الكلمة أيضاً إذا كانت بمعنى جملة؛ فعندما يتحدث شخصان وفي أثناء الحديث يقول أحدهما (نعم) فعلى الرغم من أنها كلمة واحدة في الظاهر إلا أنها جملة بمعناها الدلالي، فهذه الكلمة تندرج تحت مفهوم التنغيم وليس النغم، فالتنغيم يُظهر دلالة (نعم) على أنها جملة تقريرية بمعنى (نعم أوافق على ما تقول)، ويمكن أن تكون استفهامية بمعنى(نعم ماذا تقول؟)، ويمكن أن تكون طلب استمرار بمعنى (نعم استمّر بالحديث)، ويمكن أن تكون من باب الاحتمال بمعنى (نعم احتمال أن يكون كلامك صحيحًا)،كما يمكن أن تكون توكيدًا (نعم أُأكد ما تقول).

ويفرق الدكتور أحمد مختار عمر في كتابه (دراسة الصوت اللغوي) بين النغمة والتنغيم، ويجعل الدراسة المثلى للتنغيم، ويرى أنّ التنغيم هو الذي يغير الجملة ودلالتها من خبر إلى استفهام إلى توكيد إلى انفعال إلى تعجب من دون تغير في شكل الكلمات المكوّنة ومع تغير بسيط بنوع التنغيم في الجمل المنطوقة، ثم يميّز بين صفتين من اللغات النغميّة وغير النغميّة وبما تؤديه درجة الصوت من دور في تمييز المعنى الأساسي للكلمة أو الجملة[٣٠].

كما أن التنغيم يُظهر تحولًا أسلوبيًا ونصيًا، وهو مصطلح قار في الدراسات اللسانية، ويقوم بوظيفة بعض الأدوات ويتسم بمظهر دلالي في التأثر التواصلي مع السامع والمتلقي.

أما النغمة فهي سمة للأداء الكلامي،وتكون مفتاحًا أو جذرًا لحصول التنغيم[٣١].

٢٨- ينظر:دراسات لغوية في التراث القديم:١٦٤، ودراسات في اللسانيات العربية: ٥٤.

٢٩- ينظر:المصدرين السابقين ٥٤،١٦٤ ودراسة الصوت اللغوي:٣١٠.

٣٠- ينظر:دراسة الصوت اللغوي:٢٣٠.

٣١- ينظر: المعنى في تفسير الكشاف (أطروحة):٣٦-٥٤.

وخلاصة ما تقدم هي أن التنغيم مصطلح و آليته النغمة، وهو يشمل كل تفاصيل الصوت أو لحن الصوت،هبوطه وارتفاعه واستواؤه كما أنه يضم النغمة أيضاً.

والنغمة هي أداء المتكلم العملي فنطق الجملة يسمى نغمة فعندما نقول: هذا غناء، الغناء مصطلح يشبه التنغيم فهذا المصطلح يضم المتكلم والنص والمتلقي،كما أن الغناء يشمل المغني وأدواته الموسيقية والمستمعين.

المبحث الثالث: مستويات التنغيم.

قسم الدكتور تمام حسان التنغيم العربي بحسب أساسين مختلفين[٣٢]:

الأول: المدى بين أعلى نغمة وأخفضها في الصوت سعة وضيقًا.

الآخر: شكل النغمة في آخر مقطع وقع عليه النبر في الجملة من الكلام.

فعلى الأساس الأول ينقسم على المديات الثلاثة الآتية:

أ- المدى الإيجابي (الواسع): ويستعمل في الكلام الذي تصحبه عاطفة مثيرة أو في الخطابة والتدريس لأعداد كبيرة من الطلاب والصياح والغاضب ونحو ذلك.

والواسع ما كان نتيجة إثارة قوية للأوتار الصوتية بواسطة الهواء المندفع من الرئتين فيسبب ذلك اهتزازًا أكبر في الأوتار الصوتية، ومن ثم يعلو الصوت.

ب- المدى النسبي (المتوسط): ويستعمل في الكلام غير العاطفي أو المحادثات العادية، وكل شيء في هذا المجال نسبي لأنه ليس هناك سعة مطلقة أو ضيق مطلق، والمتوسط أقل تطلبًا لكمية الهواء وما يصاحبها من علو صوت.

ج- المدى السلبي (الضيق): ويستعمل في الكلام الذي تصحبه عاطفة تهبط بالنشاط الجسمي العام كالعبارات اليائسة الحزينة، وفي الكلام بين شخصين يحاولان ألا يسمعهما ثالث قريب منهما.

ونجد الدكتور تمام حسان استعمل مع هذه المديات اصطلاحين هما (الأول) و(الثاني)، ويقول الدكتور:"وأما الاصطلاحان:"الأول"و"الثاني" فلا يصفان إلا نغمة آخر مقطع وقع عليه النبر في الجملة من الكلام، فإذا كان هذا المقطع منحدرًا من أعلى إلى أسفل فذلك هو الشكل الأول للحن العربي، وإن كان صاعدًا من أسفل إلى أعلى فهو الشكل الثاني"[٣٣].

وعلى الأساس الثاني ينقسم التنغيم على نغمتين اثنتين[٣٤]:

الأولى: نغمة هابطة ينتهي بها الكلام؛ وتستعمل في الإثبات، والنفي، والشرط، والدعاء، والاستفهام بغير الهمزة و(هل)، والعرض.

والثانية: نغمة صاعدة ينتهي بها الكلام وتستعمل في الاستفهام بالهمزة و(هل).

وهناك نغمة ثالثة (مسطحة) مستوية لاهي بالصاعدة،ولاهي بالهابطة،وتكون إذا وقف المتكلم قبل إتمام كلامه كالوقوف على الشرط قبل الدخول في جوابه، ومن أمثلة ذلك الوقف عند كل فاصلة مكتوبة

٣٢- ينظر:اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٢٩-٢٣٠.

٣٣- اللغة العربية معناها ومبناها:٢٢٩.

٣٤- ينظر: م.ن:٢٢٩-٢٣٠.

في الآيات الآتية من قوله تعالى:﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾[٣٥].

فالوقف على "البصر" و"القمر" أولاً و"القمر"ثانياً وقف على معنى لم يتم، فتظل نغمة الكلام مسطحة دون صعود أو هبوط، أمّا الوقف عند كلمة "المفر" فالنغمة فيه هابطة؛ لأنه وقف عند تمام معنى الاستفهام بغير الأداة أي الاستفهام بالظرف[٣٦].

وحصيلة ذلك الأمر أنّ تمام حسان قسّم التنغيم العربي على ستة نماذج هي:

١- النغمة الهابطة الواسعة.

٢- النغمة الهابطة المتوسطة.

٣- النغمة الهابطة الضيقة.

٤- النغمة الصاعدة الواسعة.

٥- النغمة الصاعدة المتوسطة.

٦- النغمة الصاعدة الضيقة.

وهو متأثر في تقسيمه هذا في التقسيم الذي قدّمه Hall (هول) للتنغيم في اللغة الانجليزية، إذ يقول:"وهناك ثلاثة اتجاهات للتنغيم في اللغة الانجليزية تسمى أحياناً حدود العبارة (boundares-Clause) وهي ارتفاع في النغمة على النهاية الأخيرة لسلسة النغمات، وتشبه في مدلولها علامة الاستفهام، أو هبوط في النغمة وغالباً ما تستعمل في الأسئلة التي لا تحتاج إلى جواب كالاستنكار، أو إبقاء النغمة في المستوى نفسه وتشبه في دلالاتها الفاصلة في الترقيم"[٣٧].

وقد أضاف تمام حسّان ما يقابل هذه النغمة الأخيرة وهو ما سّماه (النغمة المسطّحة). والأشكال النغمية التي توصل إليها الدكتور تمام حسّان هي -تقريبًا- الأشكال النغمية التي توصل إليها علماء اللغة الغربيون[٣٨].

ومن المحدثين من قسّم مستويات التحليل التنغيمي من جهة نوع الأنماط التركيبية[٣٩] إلى الآتي:

١. النغمة الصاعدة:تتمثل في الأمر، والترغيب، والتعجب، والاستفهام، والإثارة، والغرابة والنهي المحض.
٢. النغمة المستوية:وتتمثل في التقرير، والجمل الخبرية، والنصح والإرشاد، والنداء.
٣. النغمة الهابطة المستوية: وتتمثل في التمني،والتهكم،وإظهار الأسف،والحزن.

أما الدكتور عبد القادر عبد الجليل فقد سجل المستويات التنغيمية للجمل كما يأتي [٤٠]:

١- النغمة العالية ورمزها الفونيمي /I/.

٢- النغمة المتوسطة ورمزها الفونيمي /II/.

٣٥- القيامة(٧-٩)،لم يخرج الدكتور تمام حسان الآيات التي استشهد بها.
٣٦- ينظر:اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٣٠، ومناهج البحث في اللغة:١٦٤-١٦٩.
٣٧- الاتجاهات النحوية لدى القدماء:١٩٩.
٣٨- دراسات في اللسانيات العربية:٥٤.
٣٩- ينظر: التنغيم اللغوي في القرآن الكريم: ١٥٧، واللغة العربية معناها ومبناها:٢٢٨.
٤٠- ينظر:علم اللسانيات الحديثة: ٣٧٦.

٣- النغمة الصغرى ورمزها الفونيمي/ *III*/.

وللتنوع الحاصل في المستويات النغمية السابقة أسباب متباينة، منها أسباب تتعلق بالحالة الشعورية والنفسية للمتكلم، ونوعية الصوت –أنثوي، رجالي– ومنها أسباب تتعلق بتردد النغمة والمدة الزمنية التي تستغرقها، وأسباب تتعلق بظواهر صوتية أخرى تتصل بالتنغيم كظاهرتي النبر والوقف(٤١).

المبحث الرابع:إشكالية التنغيم بين القدماء والمحدثين

تناول البحث إشكالية التنغيم بين القدامى والمحدثين على وفق ثلاثة محاور كالآتي:

المحور الأول: مفهوم التنغيم عند علماء العربية القدماء:

إنّ جلّ الباحثين المعاصرين من عرب ومستشرقين يغفلون دور علماء العربية القدماء في التنغيم ويعدونه من منجزات علم اللغة الحديث، يقول الدكتور تمام حسّان:"إنّ دراسة النبر والتنغيم في العربية تتطلب شيئاً من المجازفة لأنها لم تعرف ذلك في قديمها ولم يسجل لنا القدماء شيئاً من هاتين الناحيتين"(٤٢).كما يقول:"التنغيم في اللغة العربية الفصحى غير مسجل ولا مدروس. ومن ثم تخضع دراستنا إياه في الوقت الحاضر لضرورة الاعتماد على العادات النطقية في اللهجات العامية"(٤٣).

وأمّا الدكتور أحمد مختار عمر، فإنّه يقرر أنّ معظم أمثلة التنغيم في العربية (ولهجاتها) من النوع غير التمييزي الذي يعكس إمّا خاصيّة لهجيّة أو عادة نطقية للأفراد؛ ولذا فإنّ تقعيده أمر يكاد يكون مستحيلاً.كما ذكر أن جميع المحاولات التي أقدمت على دراسته في اللغة العربية قامت على اختيار مستوى معين من النطق،وعلى اختبار نغمات الصوت بالنسبة إلى فرد معين داخل هذا المستوى(٤٤).

ويكتفي الدكتور رمضان عبد التواب بقوله:"لم يعالج أحدٌ من القدماء شيئاً من التنغيم ولم يعرفوا كنهه"(٤٥) ويقول أنيس فريحة:"إن قضية النبرة لم يُعرها العرب أقل انتباه ولم يُعطِها لغويو العرب حقاً من العناية حتى أنهم لم يصفوا لها لفظًا خاصًا، ونعني قضية النبرة وأثرها في الحركة من حيث الطول والقصر"(٤٦).

أمّا الدكتور محمد الأنطاكي فيرى أنّ قواعد التنغيم في اللغة العربية فكرة مجهولة تمامًا،لأن النحاة لم يشيروا إلى شيء من ذلك في كتبهم(٤٧).

ويرى هنري فليشHenry fleish: "نبرة الكلمة فكرة كانت مجهولة تمامًا لدى النحاة العرب بل لم نجد له اسماً في سائر مصطلحاتهم"(٤٨).

٤١- ينظر: القرينة:٢٦.
٤٢- مناهج البحث في اللغة:١٦٣-١٦٤.
٤٣- اللغة العربية معناها ومبناها:٢٢٨.
٤٤- ينظر:دراسة الصوت اللغوي:٣٦٦.
٤٥- المدخل إلى علم اللغة:١٠٦.
٤٦- اللهجات وأسلوب دراستها:٧٠.
٤٧- ينظر: المحيط في أصوات اللغة العربية ونحوها وصرفها:٢٥٣.
٤٨- هنري فليش العربية الفصحى،تعريب عبد الصبور شاهين:١٨٢،٤٩

ويذهب إلى أن:"العربية لاتتصف بشيء من النبر الموسيقي"[٤٩].ويخالفه في ذلك بروكلمان في كتابه عن اللغات السامية إذ يقول:"في اللغة العربية القديمة يدخل نوع من النبر تغلب عليه الموسيقية ويتوقف على كمية المقطع فإنه يسير من مؤخرة الكلمة نحو مقدمتها حتى يقابل مقطعاً طويلاً فيقف عنده فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل فإن النبر يقع على المقطع الأول منها"[٥٠]، ويرد الدكتور غانم قدوري الحمد في أحد مؤلفاته على كلام الدكتور رمضان عبد التواب الذي ذكرته أنفاً فيقول:"وهذا كلام غير دقيق لأن القدماء تحدثوا عن التنغيم وعرفوا كنهه على نحو ما يتضح على النصوص التي عثرنا عليها والتي سوف ننقل بعضًا منها هنا"[٥١].

وعلينا هنا أن نتساءل:أكان لعلماء العربية في القديم معرفة بالتنغيم أو موسيقى الكلام؟ وهل كان لديهم إدراك لدوره ووظائفه كما هو في الدرس اللغوي الحديث؟.

وقد أجاب الدكتور كمال بشر عن هذا التساؤل قائلًا:"إن علماء العربية شأنهم في ذلك شأن سائر الناس –خبروا التنغيم ومارسوه في أدائهم الفعلي للكلام،إنهم فعلوا ذلك لا بالتلقين أو التعليم المرسوم القواعد والقوانين،وإنما كانوا يأتون به على وجهه الصحيح بالعادة والسليقة والدربة، كما كانوا يفعلون مع الأحداث اللغوية الأخرى من أصوات وصيغ صرفية وتراكيب نحوية"[٥٢].

فأبو الأسود لم يتلقَ دروسًا في التنغيم، ولم يقم هو نفسه بدراسته نظريًا أو تطبيقيًا، وإنما استوعب أبعاده ووظائفه ودوره في الأداء اللغوي بسليقته الجارية على سنن الناطقين الأسوياء[٥٣].

وقد وردت في كتب علماء العربية القدامى إشارات ودراسات حول مفهوم التنغيم وبما لا يقبل الشك، فقضية أبي الأسود الدؤلي (٦٩ هـ) مع ابنته غير خافية على الباحثين، وكذلك قضيته في ضبط حركات المصحف، جميعها أدلة على وجود التنغيم لديهم، فقد أدرك العلماء العرب القدماء أهميته في التوزيع التحليلي للنص اللغوي ملفوظًا، فقد تجاذبه اللغويون، وعلماء القراءات، والعروضيون، كلٌّ بحسب منهجه وأسلوب دراسته، وإنْ لم يكن تحت مسمى التنغيم (Intonation) في العصر الحديث، فالتنغيم مصطلح حديث أخذه علماء العربية من ترجمة ما جاء في كتب اللغة والأصوات عن علماء اللغة الغربيين.

وصحيح أن القدماء لم يطلقوا هذا المصطلح تحديدًا لما ذكروه في دراساتهم عن هذا الجانب، ولكنهم ذكروه ضمناً في مؤلفاتهم فلو عدنا إليها؛ لوجدناهم قد فصّلوا القول في مفهوم هذا المصطلح ولكن ليس تحت المسمى المذكور آنفًا.

فلم يجهل علماء اللغة القدماء هذه القرينة وأثرها في توجيه الدلالة؛ وذلك لاهتمامهم بجرس الأصوات وأثرها في توليد التنغيم والموسيقى في الشعر والنثر،وحدّدوا الأصوات التي لها القابلية على إضفاء الصفة الموسيقية والتنغيمية على الكلام، فقال الخليل:"العين والقاف لا تدخلان في بناء إلّا حسّنتاهُ، لأنهما

٤٩– م.ن: ١٨٢.
٥٠– لحن العامة:٥٤.
٥١– مدخل إلى علم أصوات العربية:٢٤٥.
٥٢– علم الأصوات:٥٤٧.
٥٣– ينظر: م.ن:٥٤٨.

أطلق الحروف وأضخمها جرسًا"[٥٤].وقال سيبويه:"إذا ما ترنموا فإنهم يلحقون الألف والواو والياء"[٥٥]، وقال في حديثه عن مد أصوات اللين:"وإنما الحقوا هذه المدة في حروف الروي لأن الشعر وضع للغناء والترنم"[٥٦] فقد أشار علماؤنا العرب القدماء إلى صور الكلام التنغيمية، وبينوا أثارها في سلسلة الأحداث النطقيّة،ففي قول لجرير بن عطية، وهو من شواهد ألفية بن مالك:

أقلّيّ اللوم عاذل والعتابا وقولي إن أصبْتُ لقد أصابا

ويروى و(العتابن)؛ حيث مد الشاعر الألف للترنم والتنغيم،وفي هذا إشارة لقول سيبويه السابق لأنه قال: إذا ترنموا ألحقوا الألف، والياء، والواو وهذه من الصوائت الطويلة التي تكسب اللفظة مدّا، ومساحة وفضاء أكبر نظرًا لتمتعها بصفة الجهر والوضوح السمعي، مقارنة بالأصوات العربية الأخرى[٥٧].

إذن فإن مفاد أجراس الأصوات في الكلام هي إفادة نغمية وأن اختلاف هذه الأجراس باختلاف مقاطع الألفاظ هو الذي يؤدي تباين أصواتها واختلاف دلالاتها[٥٨] فالتنغيم عند سيبويه يعرف بـ(تنوع دلالة الأساليب)[٥٩]، فمن صور التنغيم عند سيبويه في توجيه الدلالة قوله:"يقول الرجل: (أتاني رجلٌ) يريد واحدًا في العدد لا اثنين، فيقال:(ما أتاك رجلٌ) أي أتاك أكثر من ذلك، أو يقول:(أتاني رجلٌ لا امرأة) فيقال: (ما أتاك رجلٌ) أي (امرأة أتتك)، ويقول:(أتاني اليومَ رجلٌ) أي في قوته ونفاذه فتقول:(ما أتاك رجلٌ)، أي (أتاك الضعفاء)"[٦٠].

وقد وجه هذه العبارات بعض المحدثين على النحو الآتي [٦١]:

ما أتاك رجلٌ
- العدد (أكثر من ذلك) نغمة مستوية فالجملة هنا إخبارية.
- الجنس (امرأة أتتك) نغمة صاعدة.
- النوع (أتاك الضعفاء) نغمة هابطة.

فالنغمة الصوتية للعدد هنا مستوية، والجملة هنا إخبارية، أي:أنَّها تنتج المعنى الحقيقي للأخبار سواء أكان استفهامًا أم تعجبًا أم سخرية أم حزنًا[٦٢]، وعند دلالة الجملة على الجنس تبدأ درجة الصوت بالصعود من كلمة (أتاك) لتستقرَّ على كلمة (رجل) وعند هبوط النغمة توحي لنا بالنوع[٦٣].

كما سأورد بعضاً من الأمثلة التي جاءت في كتب علماء العربية القدماء بعد سيبويه حول التنغيم ومنها: ما جاء في كتاب الخصائص لابن جني ما نصه:"وقد حُذِفت الصفة ودلّت الحال عليها. وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم:سِير عليه ليل، وهم يريدون: ليل طويل.وكأنّ هذا إنما حذفت فيه الصفة لِما دلَّ من الحال على موضعها.وذلك أنك تحسُ في كلام القائل لذلك من التطويح و التطريح

٥٤- العين: ٥٢/١.
٥٥- الكتاب: ٢٠٤/٤.
٥٦- م.ن: ٢٩٩/٢.*وهناك نصوص أخرى لسيبويه يذكرها الدكتور كمال بشر في علم الأصوات:٥٤٩-٥٥٠.
٥٧- ينظر: علم اللسانيات الحديثة:٣٧٥-٣٧٦.
٥٨- ينظر: القرينة في اللغة العربية (أطروحة):١٩-٢٠.
٥٩- ينظر: المعنى في تفسير الكشاف للزمخشري(أطروحة):٣٧-٣٨.
٦٠- الكتاب:٥٥/١.
٦١- ينظر:المنهج الوصفي في كتاب سيبويه:٢٦٣، والمعنى في تفسير الكشاف للزمخشري(أطروحة):٣٨.
٦٢- ينظر:م. ن:٢٦٣، والتنغيم اللغوي في القرآن الكريم:٤١.
٦٣- ينظر:المعنى في تفسير الكشاف للزمخشري(أطروحة):٣٨.

والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله:طويل أو نحو ذلك. وأنت تحس ذلك من نفسك إذا تأمّلته،وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول كان والله رجلًا! فتزيد في قوة اللفظ بـ(الله) هذه الكلمة ‘وتتمكّن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها (وعليها)، أي رجلًا فاضلًا أو شجاعًا أو كريمًا أو نحو ذلك.وكذلك تقول:سألناه فوجدناه إنسانًا! وتمكّن الصوت بإنسان وتُفخّمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنسانا سَمْحًا أو جوادا أو نحو ذلك.وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت:سألناه وكان آنسانًا!، وتَزْوِي وجهك وتقطّبه، فيغني ذلك عن قولك:إنسانا لئيمًا أو لَخِزًا أو مُبخّلا أو نحو ذلك"[٦٤].إن ملاحظة الأمثلة التي ذكرها ابن جني للاعتماد على ما وصفه بالتطويح و التطريح والتفخيم والتعظيم وزيادة قوة اللفظ والتمكين من التمطيط وإطالة الصوت بالحرف المِعَين عليه يكشف لنا أنه لا يعني بكل هذه الصفات إلّا ما يعنيه المحدثون بالتنغيم (Intonation) الذي يؤدي وظيفة نحوية ودلالية في الجملة [٦٥]،فقد أدرك ابن جني التنغيم بـ(مطل الحركات والحذف السياقي)[٦٦]، ولكن من المحدثين من يعزو الأمثلة الثلاثة التي قدمها ابن جني في النص السابق الذكر وعلى ما وصفه من صفات (التطويح و التطريح والتعظيم) إلى النبر[٦٧].

وقريب من قول ابن جني –السابق الذكر– ما سّماه الدكتور فاضل السامرائي بـ(النغمة الصوتية) وهي عنده من القرائن الظاهرة التي تدل على المعنى فبها يتضح الخبر من الاستفهام والمدح من الذم،فقولنا عبارة:(هو شاعر) يمكن أن تكون خبرية،كما يمكن أن تكون استفهاميه، وقد تكون مدحًا إذا فخمنا الصوت ومددناه فنستغني بذلك عن قولنا:(شاعر مجيد)، وإن كسرنا الصوت و رققناه كنا في موضع الذم والسخرية من ذلك الشاعر، فالعبارة الواحدة قد يختلف مدلولها بحسب النغمة الصوتية كما هو ظاهر[٦٨].

ومهما يكن من أمر، فإن التنغيم والنبر السياقي كليهما –كما يرى الدكتور محمد حماسة –يعدان من القرائن اللفظية أو المقالية، والقرائن اللفظية كلها من السياق اللغوي الذي يعين على تحديد دلالة الجملة[٦٩].

ويعلق الدكتور كمال بشر على نص ابن جني السابق ويشير إلى أنّ نصه في حقيقة الأمر لا يقتصر منطوقه على تأكيد وعيه بموسيقى الكلام ودور نغماتها ولحونها في الفهم والإفهام وتنميط تراكيب الكلام إلى أجناسها التركيبية والدلالية وإنما تعدى ذلك إلى ما هو أعمق وأشمل، إذ إن هذا النص وكما يذكر الدكتور في مجمله يشير وإن بلمحات خاطفة إلى مسألة ذات بال في الدرس الصوتي في عمومه، هي ما اصطلح عليه الآن "بفن أداء الكلام" ومعناه– أن الكلام الصحيح يؤدى بنغمات مختلفة ومنتظمة لظواهر صوتية أخرى من نبر وتطريز وتفخيم لبعض الأصوات أو المقاطع،وفقا للمقصود،وطبقا لمقتضى الحال، فجمع بذلك بين الصحة الداخلية (التركيبية) أو الصحة الخارجية للمنطوق،كما لم يفت ابن جني أن

٦٤– الخصائص:٢/٣٧٠–٣٧١.
٦٥– ينظر: الدلالة اللغوية عند العرب:١٨٠.، والاتجاهات النحوية لدى القدماء:٩٦.
٦٦– ينظر:المعنى في تفسير الكشاف(أطروحة):٣٧.
٦٧– ينظر:النحو والدلالة:١٥٧.
٦٨– ينظر:الجملة العربية والمعنى:٦٦.
٦٩– ينظر: النحو والدلالة:١٥٨.

يؤكد أهمية الصحة الخارجية (غير التركيبة أو التطريز الصوتي)، فأشار إلى ما يصاحب هذا المنطوق أو ذاك من إشارات جسمية تلائم المقصود من مدح أو قدح،والتي تخدم النص في توصيل هذا المقصود طبقا للحال أو مقامه، فلله در ابن جني صاحب الآثار التي نعتمدها بمثابة المذكرات التفسيرية لقوانين العربية التي يسترشد بها في تطبيق هذه القواعد وفهم أصولها وأسرارها(٧٠).

يتضح لنا ومن خلال قراءة نص ابن جني السابق الذكر وملاحظة أقوال المحدثين فيه أن للتنغيم وظيفة في الأداء اللغوي بوصفه ظاهرة صوتية مهمة في عملية الفهم والإفهام وتنميط الجمل إلى أجناسها النحوية والدلالية المختلفة وقد كان أمره مستقرًا في وعي علماء العربية القدامى وإن لم يأتوا فيه بدراسة نظرية تحدد مفهومه وطبيعته ومستوياته.

وقد عبّر ابن جني في نص آخر عن التنغيم – وإن لم يذكره بلفظه وتسميته وإنما ذكره بإجراءاته وآليته – فتضام الاستفهام والتعجب لا وسيلة لحدوثه إلا بصورة تنغيمية، وشواهد هذا الأسلوب كثيرة في استعمالنا، فأحياناً نعبر عن تعجبنا ودهشتنا بصيغة سؤال لا نريد به الاستفسار، وإنما نريد إنكار الأمر بصيغة منغّمة، أي نخرج العبارة في صورة تنغيمية هابطة كقولنا: لا أدري كيف يختلف العرب وهم أخوة في الدين واللغة؟! فنحن لا نريد بذلك الاستفسار، وإنما نريد إنكار الأمر بصيغة منغَّمة يختلط فيها الاستفهام و التعجب، وهذا التلوين الصوتي هو الذي يُفهم السامع المقصود فلا يبادر في الإجابة(٧١). كما يقول ابن جني:" من ذلك لفظ الاستفهام، إذا ضامّه معنى التعجب استحال خبرًا. وذلك قولك: مررت برجل أيّ رجل. فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل، ولست مستفهِمًا. وكذلك مررت برجل أيَّما رجل؛لأن ما زائدة. وإنما كان كذلك لأن أصل الاستفهام الخبر، والتعجّب ضرب من الخبر. فكأن التعجب لّما طرأ على الاستفهام إنما أعاده إلى أصله من الخبريّة من ذلك لفظ الواجب؛ إذا لحِقته همزة التقرير عاد نفيًا، وإذا لحقت لفظ النفي عاد إيجابًا. وذلك كقول الله سبحانه: ﴿أأنت قُلْتَ للناس﴾ أي ما قلت لهم، وقوله:﴿آلله آذن لكم﴾ ألم يأذن لكم"(٧٢) ويتبين لنا من هذا النص أن القدماء قد أدركوا مفهوم التنغيم وآليته ولكن من دون الإشارة إلى تسميته،ألا يدل معنى هذا النص على مفهوم وماهية التنغيم في العصر الحديث؟.

وعلى أساس من التنغيم كان للبلاغيين أن يميزوا بين ألوان من الاستفهام والشرط والتعجب والقسم (٧٣).

ويلتقي ابن سينا مع ابن جني في التعبير عن التنغيم وأثره الدلالي، فيبينُّ ذلك بقوله"إنّ الكلام يزدوج تركيبُه من الحروف، ومما يقترن به – إلى جانب الحروف – من هيئة ونغمة ونبرة"(٧٤)، فقد عدَّ نغم الجملة ذا وظيفة تمييزية من حيث الدلالة الإبلاغيّة، ويؤدي أحيانًا دورًا وظيفيًا على صعيد البنية النحوية(٧٥).

٧٠– ينظر:علم الأصوات:٥٥١– ٥٥٢.
٧١– ينظر: الاتجاهات النحوية لدى القدماء:٩٦.
٧٢– الخصائص:٣/٢٦٩.(سورة المائدة:١١٦)،(سورة يونس:٥٩).
٧٣– ينظر:الاتجاهات النحوية لدى القدماء:٩٧.
٧٤– ينظر:رأي ابن سينا هذا لدى الدكتور عبد السلام المسدي في كتابه:التفكير اللساني في الحضارة العربية:٢٦٤–٢٦٥.
٧٥– ينظر: الاتجاهات النحوية لدى القدماء:٩٧.

ويضيف ابن سينا موضحًا دلالة النَّبر والتنغيم بشكل أكثر وضوحًا بقوله:"بالنبرة يتحدد طابع الجملة،إن كان نداءً أو تعجُّبًا أو سؤالاً"[٧٦]

ونلاحظ من النص السابق أن هناك تداخلًا في فهم ابن سينا للنبر والنغم، إذ حدد النبر على مستوى الكلمة، والنغم على مستوى الجملة، فهو يجعل النبر مكوناً من مكونات النغم الذي يقسمه على ثلاثة أقسام، وهي:(الحدة، والثّقل، والنّبرات)[٧٧] ولكنه عندما يدقق في النبرات نجده يعبر عنها تعبيرًا دقيقًا إذ يقول:"ومن أحوال النغم:النَبْرات، وهي هيئات في النغم مدية، غير حرفيّة يبتدىء بها تارة، وتتخلل الكلام تارة، وتعقب الكلام تارة، وربما تكثر في الكلام، وربما تقلَّل، ويكون فيها إشارات نحو الأغراض"[٧٨].

ويذكر الجاحظ في كتابه(البيان والتبيين) ما نصه: "الصوتُ هو آلة اللّفظِ والجوهرُ الذي يقوم به التقطيع،وبه يُوجَد التأليف.ولن تكون حركات اللسان لفظًا ولا كلامًا موزونًا ولا منثورًا إلاّ بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلامًا إلا بالتقطيع والتأليف. وحُسنُ الإشارة،باليدِ والرأسِ، مِن تمام حسن البيانِ باللسان،مع الذي يكون مع الإشارة من الدَّلّ والشَّكل والتقَتُّل والتثنّي،واستدعاء الشّهوة، وغير ذلك من الأمور"[٧٩]. وإشارة الجاحظ في النص السابق دليل على أهمية التنغيم في السياقات التنظيمية للمتكلم،وهي بعد ذلك التفاتةٌ واضحة إلى الجرس الصوتي الذي يرافق الحركة في أثناء تأدية الفعل الكلامي،فالجاحظ هنا يلتمس وفي تيار الكلام الذي يتطلب الوضوح أن يكون مقرونًا بما اصطلح عليه "الدَّلّ"و"الشَّكل" و"التثنّي" مما له القدرة على إضفاء حالة البيان، و اكتساب السياق قبولًا حسنًا،وقوةً في إيصال الدلالة،وإسراعًا في الفهم[٨٠].

أما الفارابي فنجده قد استخدم مصطلح النغم "Ton" ليستدل به على التنغيم بقوله:"والنغم الأصوات المختلفة في الحدّة والثقل التي تتخيل أنّها ممتدة"[٨١] ويبدو أن اللحن عند الفارابي ذو منعكس دلالي، والمراد به التنغيم المصاحب للألفاظ، وعنده أنّ اللحن جماعة النغم التي تصاحب الحروف في رحلتها الإسماعيّة[٨٢].

وقد أورد الدكتور غانم قدوري الحمد في كتابه المدخل إلى علم أصوات العربية نصوصًا من كتب علماء العربية القدماء تؤيد أن مفهوم التنغيم قد عُرِف قديمًا[٨٣].

يتضح لنا مما سبق ذكره من النصوص أنّ علماءنا القدماء كانوا قد عرفوا التنغيم وأشاروا إليه في مؤلفاتهم ضمنًا وليس مصطلحًا، فهو لم يستقرّ لديهم بهذه التسمية، ولكنهم عرفوه بمسميات أخرى، فهو

٧٦- ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية:٢٦٥.
٧٧- ينظر:م.ن:٢٦٥.
٧٨- التفكير اللساني في الحضارة العربية:٢٦٥.
٧٩- البيان والتبيين:١/٧٩.
٨٠- ينظر:علم اللسانيات الحديثة:٣٧٤-٣٧٥.
٨١- الموسيقى الكبير:١٠٩.
٨٢- ينظر: علم اللسانيات الحديثة:٣٧٥.
٨٣- ينظر:مدخل إلى علم أصوات العربية: ٢٤٦-٢٤٧.وقد ذكرت الباحثة طوليزار عزيز في أطروحتها (القرينة) الكثير من النصوص للقدماء والتي فيها إشارات إلى التنغيم:ف١، ١٩-٢٠.

عند سيبويه يعرف وكما ذكرنا سابقًا بـ(تنوع دلالة الأساليب)، وأدركه ابن جني بـ(مطل الحركات والحذف السياقي)، كما قد أشار إليه الفارابي بمصطلح النغم.

وفي ضـــوء ما تقدم فمن غير المنصـــف أن نقول إنّ علماء اللغة العربية القدماء لم يعالجوا التنغيم ولم يعرفوا كنهه، أو نقول إنّ التنغيم في اللغة العربية غير مسجل ولا مدروس، فما ذكرناه من نصوص للقدماء دليل و ردّ كافٍ على من أنكر وجود ظاهرة التنغيم في التراث العربي(٨٤). وربما تكون هذه النصوص غيضًا من فيض لمن أراد البحث في بطون الكتب القديمة.

المحور الثاني: مفهوم التنغيم في دراسات المحدثين:

المتكلم الواحد لا يســـير على وتيرة واحدة في مقاطع كلامه، فهناك ارتفاع وانخفاض في درجة نطقه بالأصوات، وهناك قدر مشترك من العادات النطقية بين أفراد المجموعة اللغوية الواحدة في هذا المجال تكون فوق مســـتوى الخصـــائص الفردية وتعطي اللغة أو اللهجة صـــفاتها المميزة لها، ويطلق على نظام توالي الأصـــوات في درجاتها مصـــطلح التنغيم أو موســـيقى الكلام أو الإطار الصـــوتي وترتبط به مجموعة من المصـــطلحات الأخرى كـــــ(النغمة، واللحن، والإيقاع) وقد عرّف علماء اللغة التنغيم (Intonation) بتعريفـات كثيرة مختلفـة عن بعضـــهـا البعض، وربمـا يعود اختلافهم في التعريف إلى خلطهم بين مفهوم ومصطلح التنغيم ومصطلحات أخرى كالنغمة مثلًا.

وسنعرض بعضًا من هذه التعريفات، مبتدئين بتعريفات الغرب؛ ذلك لأن علماء العرب المحدثين نقلوا عنهم – كما سبق وأشرنا إلى ذلك – فقد عرّفه ماريوباي بقوله:"التنغيم عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين"(٨٥)، ويقول برجستراسر:"الضغط والنغمة.وهذه مسألة مشكلة صعبة، فكل لغة لها نغمة خاصة بها؛وذلك أن مقاطع الكلام تختلف في ألحانها الموسيقية، فمنها ما هو عالٍ،ومنها ما هو واطيء، تتدرج بين تلك الغايتين،وأيضـــا منها في أكثر اللغات مايرتفع في أثناء اللحن،ومنها ماينحدر؛ فإنّا وإن لم نُغنَّ عند النطق العادي للكلمات،فكل كلام يمازجه شـــيء من الغناء.وهو كثير في بعض اللغات، وقليل في بعضـــها؛مثال الأول الصـــينية،ومثالها أيضـــا بعض اللهجات الألمانية"(٨٦).

إمّا علماء اللغة العربية فقد ترجموا مصطلح التنغيم (Intonation) إلى معانٍ عديدة تختلف في ظاهرها وتتفق في جوهرها إلى حدٍ ما فمنهم من ترجم مصطلح التنغيم إلى(موسيقى الكلام)(٨٧).ومنهم من ترجمه إلى معنى (التنغيم)(٨٨)،أو(النغم)(٨٩)،وقد أطلق عليه بعضهم مصطلح (الإطار الصوتي)(٩٠).

٨٤– ومن علماء الغرب الذين أنكروا وجود ظاهرة التنغيم لدى العرب (براجشتراسر).ينظر: التطور النحوي للغة العربية ٤٦–٤٧.

٨٥– أسس علم اللغة:٩٣.

٨٦– التطور النحوي:٧١.

٨٧– ينظر:الأصوات اللغوية (إبراهيم أنيس):١٦٣.

٨٨– ينظر:دراسة الصوت اللغوي:٣٦٦.

٨٩– ينظر:علم الأصوات العام (بسام بركة):١٧١.

٩٠– ينظر: مناهج البحث في اللغة:١٦٤.

وإذا عدنا إلى كتب المحدثين،نجدهم قد تناقلوا تعريفات التنغيم بينهم حرفيًا،وقد نقل المتأخر منهم عن المتقدم ما أورده الأخير من دون زيادة في التوضيح أو زيادة في الشرح والتفسير.

فالتنغيم عندهم –وكما أشرنا إليه سابقًا– "ارتفاع الصوت وانخفاضه في أثناء الكلام"[٩١]، ونجد مفهوم هذا التعريف موافقًا للمعنى العام الذي ذكره وأشـــار إليه علماء اللغة القدماء، بل ربما قد يكون مفهوم القدماء أوفى معنىً من تعريفات المحدثين، وقد يكون فضـــل اللاحقين من العلماء على الســـابقين توفّر المختبرات الصوتية التي أعانتهم كثيرًا في الحصول على نتائج لم يذكرها القدماء، ومنها معرفة درجة الصوت الناتجة عن التردد في النغمة الحنجرية، أي عدد ذبذبات الأوتار الصوتية وغيرها من الأمور التي توصل إليها الأصواتيون في تجاربهم.

وقد حاول المحدثون تفسير الموجات التنغيمية التي أشار إليها القدماء إلى تفسيرات تطبيقية من خلال شرح وتفسير آيات الذكر الحكيم والأبيات الشعرية إذ حظي التنغيم بأهمية بالغة عند المحدثين فقد وجدوا فيه وسيلة لكشف المعنى، وسبيلًا لتوجيه الدلالة اللغوية فربطوا بين التنغيم وتفسير القرآن الكريم عن طريق الجمع بين التصـــوير والجرس الموســـيقي في النص القرآني، فيتظافر جرس الكلمات ونغمتها زيادة على موسيقى السياق لتجسيد صورة يسعى المتكلم إلى إبرازها. وقد وظف الأسلوب القرآني أصوات المد (ا، و،ي) خير توظيف لإبراز الجانب التنغيمي وأثره في تصـــوير المعنى في مواقعه المناســـبة وأمثلتها في القرآن الكريم نحو قوله تعالى:﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ،ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِـــيَةً مَرْضِـــيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[٩٢].فتحكي أصوات المد هنا،التي تملأ مثل هذا السياق حالة من الرضا والسكينة النفسية والرحمة وينقل لنا هذا الشعور الإيقاع البطيء والمتمثل في قوله: (يَا أَيَّتُهَا، رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، ادْخُلِي) فالتنغيم في هذا النص منخفض بطيء يتناسـب مع الهدوء والسـكينة والرضـا[٩٣].ويدل المسـتوى التنغيمي المرتفع على الامتداد إلى الأمام في قوله تعالى:﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ،ثُمَّ الْجَحِيمَ صَـــلُّوهُ﴾[٩٤]. فكأن مد الواو هنا يحكي حركة المد إلى الأمام والسوق إلى نار جهنم ويتطابق ذلك مع حركة الشفتين عند نطق الواو حيث تستدير الشـفتان وتمد إلى الأمام وهذا النوع من التفسـير نجده عند سـيد قطب في كتابه في (ظلال القرآن)[٩٥] إذ كان موفقًا في تحليله الفني لنصـــوص القرآن الكريم معتمدًا الإيقاع الصـــوتي المتولد عن طريق النغمات المتتابعة في السياق العام للآيات الكريمة[٩٦].

٩١– مناهج البحث في اللغة:١٦٤، علم اللغة العام – الأصوات:٢١٢، المدخل إلى علم أصوات العربية:٢٤٣.
٩٢– سورة الفجر:(٢٧–٣٠).
٩٣– ينظر: من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم (بحث):٨٠.
٩٤– سورة الحاقة :(٣٠–٣١).
٩٥– ينظر: في ظلال القرآن:٦/٣٦٧٥.إذ يذكر لنا هول الموقف وكيفية سوق الكافرين إلى نار جهنم بتغير الإيقاع عند إصدار الحكم إلى رنة رهيبة جليلة مديدة.
٩٦– ينظر: التنغيم اللغوي في القرآن الكريم:٦٥، والقرينة:٢٤–٢٥.

ومن المحدثين من درس التنغيم لتفسير الكلام العربي المنطوق ومنهم الدكتور تمام حسان[٩٧]، وسلمان العاني[٩٨]، وإبراهيم أنيس[٩٩]، وخليل عمايرة[١٠٠]، ونجاح فاهم[١٠١] وغيرهم وكان توجههم يتمثل في دراسة التنغيم من خلال الأنماط والأساليب اللغوية وتقسيم التنغيم على مستويات محددة لكل نمط لغوي والإشارة إلى التنوعات الدلالية للتنغيم والنحوية والصرفية والنطقية للتنغيم وذلك من خلال مستوياته التنغيمية.

نستنتج مما سبق أنّ التنغيم هو الصورة العامة التي تتمثل في مجموعة النغمات التي يشملها نوع خاص من أنواع الحدث اللغوي؛ ولذ كان لجملة الاستفهام نظام خاص للنغمات يختلف عن نظام الشرط، أو التقرير، أو الاختيار كما أشرنا إليها سابقًا في مستويات التنغيم فيتضح لنا مما سبق ذكره أنّ لمستويات التنغيم الأثر الكبير في تنوع الأداء الدلالي للجمل وتغيّره عن طريق ارتفاع النغمات وانخفاضها.

المحور الثالث: تناقضات تمام حسان في عدّه مصطلح التنغيم مرة تركيبًا وأخرى فوق التركيبي:

في الذي قدمه الدكتور تمام حسان من الكلام على التنغيم،يبدو التنغيم جزءاً من النظام النحوي للغة في الوقت الذي أحصاهُ فيه مع الظواهر السياقية ومن الواضح أن النظام النحوي ثابت وتحليلي، وأن الظواهر السياقية تركيبية ودلالية، فما الوجه الذي يبرر إحصاء التنغيم بين الظواهر السياقية اذن؟

من الممكن أن يجاب عن ذلك من وجوه:

١– ذكر الدكتور في كلامه عن التنغيم في النظام النحوي أن كل نوع من أنواع الجمل يتفق مع هيكل تنغيمي خاص يقف منه في إطار النظام النحوي موقف الصيغة الصرفية من المثال أي كموقف (أستفعل) مثلًا من (أستخرج) حيث تقوم الصيغة مقام القالب بالنسبة إلى المثال.

ويذكر هنا أيضًا أن للغة جانبين:جانب تعاملي،وآخر إفصاحي، والأول منهما أقرب إلى الاستعمال الموضوعي للغة،والآخر أقرب إلى الجانب الذاتي. وهذا الجانب الإفصاحي يغلب عليه الطابع التأثري ومن أمثلته التعجب والمدح والذم وخوالف الأصوات، وكل هذه تتحقق غالبًا في صورة صيحات انفعالية تأثرية.وقد يكون المتكلم بهذه اللغة الإفصاحية في مقام يتطلب منه أن يغير وظيفة الجملة من التعامل إلى الإفصاح كالذي يحدث بين المعلقين على مباريات كرة القدم، فبدل أن يصيح باللفظ الإفصاحي "هيه"فيخبر ويفصح في الوقت نفسه، وهذا حل صوتي لمشكلة من مشكلات النظام عند تطبيقه ويعارضه في أثناء التطبيق مع مطالب السياق، والمعلق ينشر رسالتين بهذه الطريقة إلى السامعين أولاهما الإخبار عن النتيجة (وللإخبار نغمة خاصة في نظام التنغيم)؛ وذلك بواسطة جملة خبرية التركيب، وثانيهما نقل الانفعال باعتباره دعوة الجمهور للمشاركة فيه، وذلك بواسطة إعطاء التركيب الخبري المذكور نغمة إفصاحية تأثرية كنغمة صيحات المشجعين في مدرج الملعب.ومن هذا القبيل ما يحدث بين أن يحيي المرء

٩٧–ينظر: مناهج البحث في اللغة: ١٩٨، واللغة العربية معناها ومبناها: ٢٢٦.
٩٨– ينظر: التشكيل الصوتي عند العرب:١٤١.
٩٩– ينظر:الأصوات اللغوية:١٧٦.
١٠٠– ينظر: في نحو اللغة وتركيبها:١٦٢.
١٠١– ينظر: المعنى في تفسير الكشاف:٣٦–٥٥.

شـــخصًـــا يكرهه وهو يود أن لو اختفى عن ناظره فيحتفظ بالعبارة العرفية للتحية، ولكنه يغير وظيفتها ويحملها من نغمة الكراهية وتعبيرات الملامح التي تصـــاحبها ما يجعل التنغيم ظاهرة ســـياقية، وذلك كأن يجعل المتكلم شـفتيه على صـورتهما التي ينطقان بها الكسـرة، ويضـيق عينيه ويقلّص مابين حاجبيه حين ينطق التحية بنغمة الكراهية قائلًا:"كيف حالك ياعزيزى"(١٠٢).

٢- ومن المواطن التي يصـير فيها التنغيم ظاهرة موقعية في السـياق أن يعمد المتكلم إلى التظاهر بأمر هو عكس ما يتطلب الموقف من تنغيم كأن يقص المتكلم أمر حادثة مات فيها عدد من أصـحابه وأقربائه ولكنه يريد أن يبدو هادئاً في سرد القصة لئلا يثير أحزان السامعين بصورة أشد فيصطنع لهذا الكلام الذي يحتمل نغمة الحســـرة والجزع نغمة أخرى فيها هدوء وتماســـك، ويكون التنغيم ظاهرة ســـياقية على حد قوله(١٠٣) ولكننا هنا نرى في التنغيم ظاهرة نصية.

٣- يحدث أحيانا أن يستعمل المتكلم النغمة على صورة تقوّي من العلاقة بين إحدى كلمات السياق وبين معناها الذي سبقت له.فإذا قال"بلاد بعيدة" عبر عن شدة البعد بمد الياء مدًا طويلًا وكذلك الفتحة التي بعدها من كلمة "بعيدة" عبّر عن شـدة البعد بمد الياء والفتحة على نغمة واحدة مسـطحة عالية نوعًا ما (١٠٤). وهذه بعض الأمثلة التي تجعل التنغيم ظاهرة موقعية تحل مشـــكلة تطبيق نظام التنغيم في النحو على السياق الاستعمالي حين تتعارض قواعد النظام مع مطالب السياق.

خاتمة:

التنغيم ظاهرة صـوتية وموقعية تشـترك فيها معظم اللغات لأنها تؤثر في تغير دلالة الجمل ومعناها من دون أن تتغير مفرداتها في ترتيبها أو شـــكلها، وتلك بعض الأمثلة التي تجعل التنغيم ظاهرة موقعية تمثل مشـكلة تطبيق نظام التنغيم في النحو على السـياق الاسـتعمالي حين تتعارض قواعد النظام مع مطالب السياق.

ويؤدي التنغيم دورًا فاعلًا في التقرير، والتوكيد، والتعجب، والاســـتفهام،والنفي، والإثبات والتهكم، والزجر، والإنكار وغيرها من أنواع الفعل الإنسـاني: كالفرح، والحزن، واليأس، والغضـب؛ وذلك عن طريق التلوين والتنويع في درجة المسـتويات التنغيمية العالية، والمتوسـطة، والهابطة -التي سـبق وأشـرنا إليها من خلال البحث - ولذلك صنفه علماء اللغة والأصوات وعدوه من الفونيمات فوق التركيبية التي من شأنها أن تعرفنا وترشدنا إلى مواقف المتكلمين من خلال تنوع ظهورها من لسان إلى آخر، فقد اعتنى به المحدثون إلى جانب إشـــارات القدماء له واصـــفين أســـبابه، وأقســـامه مبينين درجات التنغيم بمســـتوياته العالية، والمنخفضة، والمستوية موضحين أثره في الأداء اللغوي؛ وذلك في اختلاف المعنى من ناحية، ودلالة السياق من ناحية أخرى، وقد خَلُصَ البحث إلى نتائج عدة منها:

١- التنغيم ينتمي إلى مجموعة الفونيمات فوق التركيبية، فهو قرينة لفظية إذ لا يمكننا أن نتصـــوره إلا في الكلام المنطوق، فبه تُنطق الجملة بإطار موسيقي معين وتُعطي نغمًا خاصًا.

١٠٢- اللغة العربية معناها ومبناها:٣٠٨- ٣٠٩.
١٠٣- ينظر: م.ن:٣٠٩.
١٠٤- ينظر: م.ن:٣٠٩.

٢- لم يكن مفهوم التنغيم حديثًا للعهد في ظهوره، فقد ورد ذكره وبشـــرح مفصـــل ووافٍ عند علمائنا القدماء، وعلى العكس مما ورد ذكره في كتب البعض من المحدثين ومنهم الدكتور رمضان عبد التواب والدكتور تمام حســـان– من أن القدماء لا يعرفون التنغيم ولا يفقهون كنهه أو أنه وكما يقولون غير مسجل ولا مدروس في العربية الفصحى قديمًا.

٣- قصور الترقيم في الكتابة عن التنغيم في الصوت.

٤- إنَّ أســاس علم التنغيم عربي وليس غربيًا كما يعتقد بعضــهم وخلافًا لما روّج بعض علماء الغرب من أن العرب لم يدرسوا التنغيم ولم يعرفوا كنهه.

٥- إنَّ هناك فرقًا بين مصـطلحي النغمة(ton) والتنغيم (Intonation) فلكل منهما دلالته وخصـوصـيته عن غيره خلافًا لما ذكره بعض علماء الأصوات.

٦- التنغيم يكون على مســتوى الجملة، وعلى مســتوى الكلمة إذا كانت بمعنى جملة مثل كلمة نعم التي سبق و أشرنا إليها من خلال البحث. أما النغمة فتكون على مستوى الكلمة فقط.

٧- التنغيم له وظيفة دلالية في فهم المعنى المراد من الطرف الآخر.

٨- لغتنا العربية لغة تنغيمية وليست نغمية كما في بعض اللغات كالصينية.

٩- تناقض الدكتور تمام حسان في عدّه مصطلح التنغيم مرة تركيبًا وأخرى فوق التركيبي.

المراجع والمصادر التي اعتمدت عليها في كتابة البحث:

القرآن الكريم

الكتب المطبوعة

١- ابن جني، الخصائص، تحقيق:محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٢- أحمد، نوزاد حسن، المنهج الوصفي في كتاب سيبويه،، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٦م.

٣- الأنطاكي، محمد، المحيط في أصوات اللغة العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، بيروت، ط٣، د.ت.

٤- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٥، ١٩٧٩ م.

٥- أيوب، عبد الرحمن، أصوات اللغة، مطبعة دار التأليف، القاهرة، ط١، ١٩٦٣م.

٦- براجستراسر، التطور النحوي للغة العربية، أخرجه وصححه وعلق عليه:رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٧٣م.

٧- بركة، بسام، علم الأصوات العام(أصوات اللغة العربية)، بيروت، مركز الأنماء القومي، ١٩٨٨م.

٨- بشر،كمال، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،٢٠٠٠م.

٩- بشر،كمال، علم اللغة العام(الأصوات)، مصر،١٩٧٣م.

١٠- التميمي، صـــبيح، دراســـات لغوية في التراث القديم، دار مجدلاوي للنشـــر والتوزيع، ط٣،٢٠٠١م.

١١- الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٩٩٨م.
١٢- الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، كتاب الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتب، مصر، د. ت.
١٣- حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط ٥، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
١٤- حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط٢، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
١٥- حسين الشاربي، سيد قطب إبراهيم، كتاب في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت- القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ.
١٦- الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، عمان، دار عمار، ط٢، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
١٧- الحمد، غانم قدوري، المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
١٨- الخليل، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠م.
١٩- الأفريقي، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.
٢٠- الخولي، محمد علي، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، ١٩٨٢م.
٢١- السامرائي، فاضل، الجملة العربية والمعنى، دار بن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.
٢٢- السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارىء العربي،، مصر، ١٩٦٢م.
٢٣- سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، دار الرفاعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ -١٩٨٢ م.
٢٤- السيد، عبد الحميد، دراسات في اللسانيات العربية (المشاكلة، التنغيم، رؤى تحليلية)، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥ هـ-١٩٨٤م.
٢٥- الشايب، فوزي حسن، محاضرات في اللسانيات، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٩م.
٢٦- العاني، سلمان، التشكيل الصوتي في اللغة العربية،، ترجمة ياسر الملاح ومحمد غالي، جده، ١٩٨٣م.
٢٧- عبد التواب، رمضان، لحن العامة والتطور اللغوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٠م.
٢٨- عبد الجليل، عبد القادر، علم اللسانيات الحديثة، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م.
٢٩- عبد اللطيف، محمد حماسة، النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي- الدلالي)، دار غريب، القاهرة، ط٢٠٠٦، ٢م.

٣٠- العزاوي،سمير عزيز، التنغيم اللغوي في القرآن الكريم،دار الضياء، عمان- الأردن، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
٣١- العطيّة، خليل إبراهيم، في البحث الصوتي عند العرب،الموسوعة الصغيرة، دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨٣م.
٣٢- عمايرة، خليل أحمد، في نحو اللغة وتركيبها، جدة، عالم المعرفة، ط١، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م.
٣٣- عمايرة، حليمة أحمد،،الاتجاهات النحوية لدى القدماء- دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة المعاصر- دار وائل للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٦م.
٣٤- عمر،أحمد مختار،دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب،القاهرة، ط٤، ٢٠٠٦م.
٣٥- الفارابي،محمد بن محمد بن طرخان،كتاب الموسيقى الكبير،تحقيق وشرح غطاس عبد الملك خشبة،مراجعة محمد أحمد الحفني، دار الكتاب العربية، القاهرة،د،ت.
٣٦- فريحة،أنيس،اللهجات وأسلوب دراستها، دار الجيل، بيروت،ط ١، ١٤٠٩هـ،١٩٨٩م.
٣٧- ماريوباي، أسس علم اللغة،ترجمة وتعليق،أحمد مختار عمر، عالم الكتب،القاهرة، ط ١٤١٩،٨هـ- ١٩٩٨م.
٣٨- مجاهد،عبد الكريم،الدلالة اللغوية عند العرب،مطبعة النور،عمان،١٩٨٥م.
٣٩- مرعي،عبد القادر الخليل المصطلح الصوتي عند علماء العربية في ضوء علم اللغة الحديث، جامعة مؤتة، ط١، ١٩٩٣م.
٤٠- المسدي،عبد السلام،التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب تونس، ١٩٨١م.
٤١- الموسوي،مناف مهدي، علم الأصوات اللغوية،دار الكتب العلمية، بغداد.
٤٢- هنري فليش،العربية الفصحى،تعريب عبد الصبور شاهين، بيروت،١٩٦٦م.

البحوث والدراسات:

١- الجنابي،طارق عبد عون،قضايا صوتية في النحو العربي (بحث)،مجلة المجمع العلمي العراقي ج (٢-٣)، مجلة ٣٨ حزيران،١٩٨٧م.
٢- السيد،محمد سلمان العبد، من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم (بحث)، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد(٣٦)، المجلد التاسع جامعة الكويت، ١٩٨٩م.
٣- طوليزار كاكل عزيز،القرينة في اللغة العربية (أطروحة)،كلية التربية(ابن رشد)،جامعة بغداد، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
٤- عباس،أحمد خضير، أثر القرائن في توجيه المعنى (أطروحة)، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
٥- العبيدي،نجاح فاهم صابر،المعنى في تفسير الكشاف للزمخشري (أطروحة)،كلية التربية، جامعة بابل، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.